

الترقيم الدولي: ٥٤٢١-٦١٢٥

مجلة عَالِم للدراسات العربية

مجلة دولية محكمة
تصدر عن
قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن نيجيريا

١٥٩
١٥٩
١٥٩



المجلد الأول. العدد ٢. ٢٠١٥ م

المجلد الأول ، العدد ٢ ، ٢٠١٥ م

مجلة عالم للدراسات العربية



الترقيم الدولي : ٥٤٢١-٦١٢٥

مجلة عَالِم للدراسات العربية

مجلة دولية محكمة

تصدر عن

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن نيجيريا

المجلد الأول ، العدد ٢ ، ٢٠١٥ م

فعالية دور الشيخ آدم عبد الله الإلوري في تحقيق المخطوطات العربية: منظومة الشيخ مود

الكشناوي نموذجاً

إعداد

د. عبدالرشيد محمود مقدّم

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.

مقدمة

تعددت الطرق المرسومة والوسائل الموضوعية لحفظ المخطوطات؛ وهي بمجموعها تضمن لها البقاء الشكلي والمضموني. وتعمل في الذود عن صفاء بيضتها عما قد تعرض له من دواعي التلف والمُحِبُّب أو الضياع؛ ومن أهم تلك الطرق "التحقيق" ولولم تكن العرب المسلمون عرفوه مصطلحاً شائعاً محتملاً بدلالته التي نعرفها اليوم، فيما عني به الباحثون من تتبع لفظ "تحقيق" في المعاجم، ومع ذلك عرفوه أصولاً وقواعد وطبقوها في تحقيق نصوصهم^(١) غير أن عالم المخطوطة تعرّف على بعض ضوابط وقواعد وضعت -تنظيراً وتأليفاً- لتحقيق النصوص والتي تبلور نورها على أيدي المستشرقين في القرن التاسع عشر الميلادي^(٢). وهذا التحقيق يعني المحاولة على تناول مخطوطة معينة للكشف عن حقيقتها، وقيمتها، وفحواها من حيث الاتجاهات العلمية أو الفنية التي تعمل في إثراء الحياة بمعلومات متضافرة، قصداً وراء هذا السعي الحثيث -إطلاع القراء على جمال تعبيرها ونطاق ثقافتها مع تسهيل الحصول عليها.

والتحقيق من الأعمال الجادة، التي تتطلب من القائم بها المراتبة، والدقة، وحصافة العقل لما تكمن فيها من دقائق وضوابط، تلزم أن يحيط بها علماً قبل القيام بمثل هذه العملية. وقد تفتّن إلى ذلك بعض الكتاب العرب فأفردوا له كتباً ومصنفات، وضعوا فيها قواعد أو معلومات هامة تهدي إلى السبيل، إذا عمل باتباعها في النصوص المحققة؛ ومنمن كتب في هذا الموضوع المستشرق الألماني "برجستراسر" في محاضرة ألقاها في الجامعة المصرية في العام الدراسي ١٩٣٢-١٩٣٣م بعنوان "أصول نقد النصوص ونشر الكتب القديمة" والتي نشرها فيما بعد تلميذه محمد حمدي البكري عام ١٩٦٩م^(٣) ثم الدكتور عبد السلام هارون في كتابه "تحقيق النصوص ونشرها" ١٩٥٤م والدكتور صلاح الدين المنجد في قواعد تحقيق المخطوطات التي نشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية ١٩٥٥م^(٤)؛ وإلى هؤلاء الثلاثة يرجع الفضل لأنهم فتحوا الباب من جديد واحتشدوا للتنظير في مسائل التحقيق من وعي مسبق بعد القطيعة التي عاشها العرب المسلمون مع تراثهم عموماً ومع تراثهم في التحقيق تطبيقاً وتنظيراً خصوصاً^(٥) وستقتطف من يانعات ثمار هذه الدراسات في حينها -إن شاء الله-

وعلى هذا الصوء، قدّم العلامة الشيخ آدم عبدالله الإلوري جهوده المصنيّة في تحقيق بعض المخطوطات، ونفض عن وجهها غبار الإهمال والنسيان. جراء تقادم العبد وتعاقب الأزمان: فمن ذلك تحقيقه أخبار القرون في تاريخ أمراء إلورن للشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكوزو، الذي يعدّ كأول كتاب تاريخي كتب في تاريخ مدينة إلورن. ومنظومة "أيا طالب الإعراب" للشيخ عبدالله بن فودي الفلاني في بيان بعض المسائل النحويّة: كما قام بتحقيق بعض الرسائل التي كتبها الشيخ الإمام عبد الكريم المغيلي لبعض ملوك شمال نيجيريا، ونشرها في ثنايا بعض مؤلفاته كما خصّص له كتاباً بعنوان "الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا" والكتاب تظهر بين دفتيه مرآة شقافة تنعكس عليها شخصية الإمام المغيلي بخبراته السياسية، ومداركه العلمية، وتجاربه الرشيدة تجاه الحياة والعمران.

وهذه الورقة تخصّص بالدراسة: تحقيق منظومة الشيخ محمد مودي الكشناوي المعنون بـ "صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان" ويتحقّق ذلك عبر النقاط التالية:

- ماهية تحقيق المخطوطة والغاية منه.
- نبذة يسيرة عن حياة الشيخ آدم عبدالله الإلوري.
- عرض مقتطفات من المنظومة.
- أهم الحوافز للقيام بهذا التحقيق.
- الأسلوب المستخدم في التحقيق.
- الاتجاه الخلقي في المنظومة.
- الخاتمة.

١- ماهية تحقيق المخطوطة والغاية منه

التحقيق يعني القيام بتناول أيّ تراث علميٍّ أو فنيٍّ مخطوط، كتب في قديم العبد أو الحاضر، للكشف عن حقائق لها صلة وثيقة بتلك المخطوطة. كالكشف عن مدى صحة نسبتها للمؤلف، كتابتها، ونوعية مدادها وخطها، ووصف حالتها، وبيان كمية سطور وجه أوراقها، وميقاتها وعرضها، وشرح موجز لغوامض ألفاظها، مع الوقوف على اتجاهاتها العلمية؛ لتكون على مرأى القراء ويسهل الحصول عليها. وبأوجز العبارة هو إرجاع النصّ كما أراد مؤلّفه بالأبزيد ولا ينقص لأن هذا نص المؤلف وكلامه بلا زيادة ولا نقصان^(١) غير أنه لا يلزم على المحقق أن يكون خبيراً بنوع المداد ولا بمعرفة النسخ وأنواع الورق ولكن يطلب منه التأمّن بحيث لا يحدّق على نسخة واحدة إلا إذا كانت نسخة

المؤلف^(٧) ومن هنا، يلزم على المحقق التعرف على بعض القواعد أو الضوابط التي تستوجب منه الانتباه قبل الإقدام على عملية التحقيق؛ وهذه القواعد لسنّا بمجال استعراضها بل يجدها القارئ العزيز فيما كتب عن التحقيق من المؤلفات: غير أننا نلجّح إلى بعضها إذا حوِّجنا الحديث إلى ذلك في أثناء هذه المقالة.

فمن خلال ما سبق يثبت الإيمان بأن التحقيق يستهدف غاية مهمة قصوها تقديم التراث المخطوط كما وضعه صاحبه بنصّه الحرفي بدون زيادة ولا نقصان^(٨) حتى ولو تعدّدت نسخ المخطوطة. وهي كلها بخط المؤلف. ويجد المحقق فيها بعض الاختلافات؛ فعليه أن ينظر فيها ويفضّل ما كان أقرب للمعنى المقصود من الكاتب ثم يشير إلى ما يخالفه في النسخ الأخرى. كما يجب عليه إذا قام بزيادة منه أو نقصان الإشارة إليه في الهامش. وإذا كانت هذه النسخ المختلفة منسوبة إلى كتاب مختلفين ويجد من بينها واحدة منسوبة إلى مؤلف المخطوطة نفسه يفضل الأمّ- التي هي نسخة المؤلف- على غيرها من النسخ. وتلي هذه في المرتبة النسخة التي أملاها على بعض تلاميذه أو كاتب له، وإذا لم تكن هذه النسخ على هذه الصورة أو كان في عهود متلاحقة لعصر صاحب المخطوطة فإعراي المحقق في التفاضل بينها تقادم العهد فيما هو الأقرب إلى عهد صاحبها^(٩). نستلهم من ذلك كلّ مدى أهمية الغاية التي يهدف إليها المحقق في تقديم المخطوط بصورة حرفية حسب ما وضعها الكاتب بحيث لا يتطرق إليه أدنى تحريف ولا انحراف.

٢- منظومة "صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان"

أُشربت قلوب علماء نيجيريا -قديمًا وحديثًا- حبّ اللغة العربية العريقة، الذي امتدّت جنوره من رغبتهم الشديدة في فهم تعاليم دينهم الإسلامي الذي اتّخذ العربية رفيقة حياته، وترجمان مسير رسالته السمحاء؛ فمما يصدّق هذه الدعوى تلك الآثار الطيّبة، التي تعبّر عن مدى تفاني أولئك العلماء في اللغة العربية، حيث ملأوا بطون الأوراق بذخائر علمية شعرها ونثرها.

ومن تلك الآثار منظومة صرف العنان، التي نظمها الشيخ محمد مودي بن محمد القومتي الكشناوي ١١٨٦ هـ الموافق ١٧٧٢ م؛ ولم يذكر لنا تاريخ ولادته ووفاته؛ غير أنه أخذ الاحتمال بهذا التاريخ أنه ولد في القرن الثامن عشر الميلادي^(١٠) كما لم يسجّل له التاريخ تأليفًا آخر غير هذه المنظومة^(١١) ويعتدّ مودي من خيرة خلف بلحق بأخر الطليقة من أجلة العلماء في نيجيريا أمثال: الشيخ عبدالكريم المغيلي، والشيخ العاقب بن عبدالله الأنصماني، والشيخ سليمان الباغمري^(١٢).

وتبوأت هذه المنظومة مكانتها بين أخواتها من جياذ ما قيل في الأدب العربي في هذه المنطقة- نيجيريا- خصوصًا فيما يمتّ بالصلة إلى نُبُل الأخلاق؛ وهي تبلغ في عدّ أبياتها مائتين وعشرة (٢١٠)

متمتعة بقدر كبير من القبول: حيث كان الآباء والعلماء يفرضون على أبنائهم -في سن مبكر- قراءتها، وحفظها، والعمل بموجبها؛ كما كان الوُعاظ -في قديم الزمان- يتغردون بأبياتها في مجالس الوعظ والتذكير؛ ولعل مما أولته كل ذلك سهولة ألفاظها، وعذوبة تعبيرها، وقوة معانيها حسب ما وصفها أحد الدارسين بأن المنظومة سهلة التركيب، سلسلة التأليف، متينة الأسلوب، واضحة المقصود، نافعة للعباد في جميع البلاد...^(١٢)

٣- نبذة يسيرة عن حياة الشيخ آدم عبدالله الإلوري

ولد الشيخ آدم عبدالله الإلوري عام ١٩١٧م من أب يورباويّ يسمى عبد الباقي بن حبيب الله، وينتهي نسبه إلى عَوْنُوْلِي، حيث نزح جدّه عبدالله إلى إلورن مع رفقة أتيب^(١٤) ونزل في أول وهلة في إديأتي، ثم -أخيراً- تحول إلى عَوْمَدَا بالجهة الغربية من إمارة إلورن. وكان والده عبد الباقي كثير التجوال لمهنة تجارية^(١٥) فألقى عصا ترحاله بقرية واسا -مسقط رأس الشيخ آدم- في الداهومي بجمهورية بنين -حاليا-، حيث تزوج بها أمّه عائشة بنت الملك، ولبنوا بها إلى أن عاد جميع الأسرة إلى إلورن سيرا على الأقدام.

ثم تولى والده إمامة الناس في الصلاة بمسجد عَوْمَدَا، وكان يعلم الصبيان، وعنه أخذ الإلوري مبادئ علوم العربية والإسلامية، قبل أن ساقه الحظ إلى الشيخ صالح أيسينيو: فأخذ عنه، ثم الشيخ عمر الأبهجي بلاغوس، والشيخ آدم نمعاجي الكنوي الفندي، الذي نهل منه العلوم اللغوية: كما استفاد كثيرا من الجاليات العربية بنيجيريا، أمثال: السيد موسى الأمين السوري ومصطفى السامي نزل لاغوس وقوم بلسانهم عربيته الفصحى^(١٦).

سافر إلى البلدان العربية بما فيها جمهورية مصر العربية التي قام إليها برحلة ثقافية، عرض نفسه خلالها على علماء الأزهر الشريف للاختبار الذي أسعف عن نجاح باهر فتح جلاء إجازة علمية. تنص على إجازة تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية لأبناء وطنه، ومواصلة العملية الدعوية عام ١٩٤٦م^(١٧).

ثم أسس بعد عودته مركز التعليم العربي والإسلامي بأغيغي بعد أن قد تارّض لأول مرة بأبنيكوّنا سنة ١٩٥٢م^(١٨)، فأصبح صرخا شامخا ممزّدا يشع منه نور الإسلام، ومنبرا عظيمًا ينطلق منه صوت القرآن إلى البقاع المعمورة، وكان -ولم يزل- يخرج في كل عام كُثًا هائلًا من أبناء الوطن، صاروا اليوم أرباب العلم وفرسان المعرفة.

وله أعمال عظام أترى بها المكتبات العربية والإسلامية تغطي جوانب دينية، ولغوية، وثقافية، كما شارك في مؤتمرات علمية وندوات ثقافية في مختلف البلدان العربية كمصر، والمملكة العربية

السعودية، وليبيا، ومغرب، والعراق، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي. وتعد هذه كلها ضمن الإنجازات الهائلة التي رافت جمهورية مصر العربية فقلدته وسام العلوم والفنون عام ١٩٨٩م، تقديراً لجهوده القيمة، وإسهاماته الطيبة نحو رفع مستوى الثقافة العربية والإسلامية، وكان لم تأل منه هذه الجهود إلى آخر رمق حياته حيث ارتحل إلى الرفيق الأعلى يوم الأحد ١٩٩٢/٥/٣م مخلفاً وراءه أبناء نجباء، وتلاميذ أذكيا، في طليعتهم خليفته ومدير مركزه وفائد مسيرته الرشيدة الشيخ محمد حبيب الله بن آدم عبدالله الإلوري -أطال الله في عمره، آمين-

٤- عرض بعض مقتطفات المنظومة

أَخْفَدُ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَغْرُوفِ * يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعُتُوفِ
بَخْرُ صَلَاتِهِ لِمَنْ قَدْ أَرْسَلَ * بِجُمْلَةِ الْخَيْرِ وَمِنْ امْتِنَانِ
مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى الْمَكِّي * الشَّاهِدِ الْقُرَيْشِيِّ الرَّكِي
نَصِلَ لِأَلِهِ ثُمَّ صَحْبِهِ صِلَةً * تَخْطُ عَنِّي كُلُّ ذَنْبِي جُمْلَةً
وَبَعْدَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْفُرَا * مَالُوا إِلَى جَلْبِ الْخَطَامِ طَرَا
أَزْدَتْ تَنْبِيَةَ السَّعِيدِ مِنْهُمْ * وَهُمْ قَلِيلُونَ وَهُمْ هُمْ مَا هُمْ
بَا صَاحٍ فَاغْلَمْ أَنْ خَيْرَ الْخَلْقِ * مَنْ فَرَّ عَنْ ظِلَامِ بَغْضِ الْحَقِّ
أَفْبَحَ مَا يَكُونُ مِنْ دَهَالِزٍ * مَخَاضِرِ الْفُسْطَاقِ وَالْتَوَاكِرِ
دَامُوا عَلَى سَبِّ الْوَرَى بَلَا سَبَبٍ * نَمِيمَةً وَغِيْبَةً لَهُمْ أَذَبَ
لَا تَلْتَصِقُ حَلَايِفَ الْفُضُولِ * فَإِنَّهُمْ سَخَائِفُ الْغُفُولِ
لَا تَحْمِلُنْ أَخَاكَ فِيمَا يَوَلَّى * تَكُونُ عَنْ خَيْرَاتٍ مَنْ يَتَوَلَّى
إِنَّ الْخَسُوفَ أَخْبَثُ الْبَرَانَا * بَيْطٌ بِهِ أَكْثِفَةُ الرُّؤَايَا
مَنْ عَافَ قَوْلَ الْحَقِّ كَيْلًا يَبْغِضَا * وَحَالَفَ الْمُنْكَرَ كَيْلًا يُرْفِضَا
وَوَاجَهَ النَّاسِ بِيَمَا يَرْضُونَهُ * فَهُوَ الْخَوُوفُ عَوْدَنْ كَوْنَهُ
أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ فِي الْإِخْوَانِ * تَمَائِلُ الْأَعْنَاقِ بِالْخَوَايَا
تَخَالَفُ الْبَيَّاتِ بِاللِّسَانِ * هُوَ الْبِقَاقِ الْمُوَصِّلُ الْبَيَّزَانِ
أَطْبَاقُهَا سَبْعَةٌ فَالْأَعْيَالِ * دُونَ الْمُفَالِ شِدَّةُ الْبِكَالِ
أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ خَرَكِ الْأَوَّلِ * مَاوَى الْمُنَافِقِينَ قَعْرُ الْأَشْفَلِ
مَنْ بَلَغَ الْغَيْرَ مَقَالَ الْغَيْرِ * مِنْ جِهَةِ الْقُدْعِ نَمِيمُ الشَّرِّ
لَا يَدْخُلُنِ الْجَنَّةَ الْقَتَاتُ * فِي أَنْزِلِ نَاقِلُهُ الْبُقَاتُ
مَنْ مَاتَ فِيهَا وَهُوَ يَرْجُو الْجَنَّةَ * وَلَمْ يَنْبُ فَالْثَّارُ مَاوَى الْجَنَّةَ

وَمَنْ رَأَى النَّفْسَ عَلَى الْبُغُوصِ * لَمْ يَكْ بِالْكَبِيرِ أَخَا رُفُوصِ
 إِيَّاكَ وَالْكَبِيرُ قَدِيمَ الذَّنْبِ ** عَصَى بِهِ الْخَنَاسُ أَمْرَ الرَّبِّ
 ذُكْرُكَ مَا لَمْ يَكْ بِالْتَّعَمُّدِ ** أَلَمِئْتُ فَرَعْنَهُ بِالسَّهْجِ
 يُنْبِتُ نَقْطَةً كَنُفْرِ الْإِبْرَةِ ** بِقَلْبِهِ سُودًا تَزِيدُ كِبَرَهُ
 حَتَّى نَعَمَ قَلْبُهُ إِنْ لَمْ يَنْبُ ** ثُمَّ عَلَى جَيْبِيهِ اللَّغْنُ كُتِبَ
 مَنْ مَسَّ فَرَجَ مَلِكٍ غَيْرِهِ وَلَوْ * بِهَيْمَةٍ فَعَايِزَ زَانٍ حَكُوا
 لَا تَفَرِّقَنَّ الْعَهْرَ رَأْسَ الذَّنْبِ * لِأَنَّهُ يُفْضِي لِبُغْضِ الرَّبِّ
 هَذَا الزَّمَانُ بَارٍ فِيهِ الْعِلْمُ ** جِنِّ عِلَالَةٍ وَاعْتِلَالَةِ السُّومِ
 وَغَيْمِ نُورِهِ بِحَيْبِ الْجَاهِ ** وَالْمَالِ وَالطَّمْعِ بِلَا تَنَاهِ
 وَتَنْظَرِ الطَّلَبُ لِلْأَمْوَالِ ** وَتَسَابِدُوا عِزَّةَ ذِي الْجَلَالِ
 فَطَالِبُ الْعِلْمِ حَبِيبُ اللَّهِ ** وَجَالِبُ الْمَالِ حَبِيبُ اللَّهِ
 حَسْبُكَ مِنْهُ أَنَّهُ ضِيَاءٌ ** مَا سَاقَهُ دُخَانٌ وَلَا غَبَاءٌ
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ عَيْنِ الدَّيْبَةِ ** عَاشِقَهَا مُقَارِنُ السَّبِيلَةِ
 لَيْسَ لِمُغْتَلَبٍ بِهَا مِنْ آلٍ ** وَلَا لِمُكْتَرِبٍ بِهَا مِنْ خَلٍ
 إِنْ مَاتَ يَوْمًا بَقِيَ الْجِسَابُ ** إِنْ لَمْ يُوَدِّ الْحَقُّ فَالْعِنَابُ
 إِيَّاكَ مِنْ تَخَالُطِ السُّلْطَانِ ** بَلْ فَوُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى الرُّخْمِ
 فَوَكَّلَنَّ النَّفْسَ لِلْمَتَانِ ** وَلَا تُرِدْ مَنَاهِلَ الشَّيْطَانِ
 جُلَّ الْأَنَامِ نَحْوَهُمُ الْتَصَفُّوْا * بِالصَّبْرِ وَالْجَاهِ مَهْ الدُّنْيَا الرُّفُوءُ
 عَلَيْكَ بِالسَّبِيحِ وَالْيَلَاوَةِ ** وَصَلِّصَلَنَّ فِي السَّبْرِ وَالْجَلَاوَةِ
 بِخَاضِرِ الْقَلْبِ مَعَ الْخُسُوعِ ** وَلَا تَسْرَلْ مُكْبِرُ السَّرْكَوَعِ
 فَلَا زِمَ الْمَسْجِدِ كُلِّ الْوَقْتِ ** وَادْخِرِ الرَّادَّ قَبِيلَ الْمُؤْتِ
 نَظَّمَهَا الْفَقِيرُ مُودَ السُّومِي ** حَبَاهُ رَبُّهُ نَصُوحَ الثُّؤْنَةِ
 أَتِيَاتُ أَرْجَوْرَتِي غَدَمًا أَطْرَ * وَكُلُّ مَنْ يَعْمَلُ مَا يَهْتَاطِرُ

٥- أهم الحوافز التي دفعت إلى تحقيق المنظومة

تعدّ من الندرة بمكان أن يتقدم الإنسان نحو إيجاد شيء معين، أو تحصيل أمر ذي بال دون أن توجد له حافزة تملي عليه مسيرته، أو دافع مسبق يختفي وراء ضوء الانفعال، فيعمل ذلك

الإنسان ويتحرك حسب مقتضى نغمة الطبل التي يربتها في أذنيه: فيسعى حثيثاً وراء تحقيق هدف مهم جاد.

فعلى ضوء ما سبق، نستوقف القارئ العزيز على بعض الدوافع الهامة التي فرضت على الشيخ آدم عبدالله الإلوري القيام بعملية هذا التحقيق، على رأسها رغبته الشديدة في إحياء التراث القديم، وإحالة من حيز ضيق إلى مسرح أنظار العامة، فيستفيد القراء بمعلوماته، ويقفون على قيمه وحقائقه، فيحظى ذلك التراث بالشهرة الفائقة في عالم البحث والقراءة: حسب ما يقول المحقق في أعقاب مقدمته "...فصارت المنظومة تنطوي بالتدرج في ذيل النسيان، كما انطوت أمثالها، وكنت قد أليت على نفسى منذ نضوج فكري أن لا أدخر وسعا في إحياء مثل هذا التراث العربي الإسلامي ما استطعت خدمة للوطن والأدب والإسلام، لهذا أخرجتها للناس..."^(١٩)

وأنها -المنظومة- تواكب أخواتها في العالم العربي من الأدب العربي رغم تلك الحدود والفواصل التي أقام سماكها المستعمرون في التفريق بين المرء وزوجه (الأدب العربي في العالم العربي والأدب العربي في محيطنا النيجيري) فهما يسيران معا -جنباً بجنب- في بناء المجتمع الإسلامي من حيث السلوك والسير الحسنة، فضلاً عن أنها -المنظومة- من تلك الآثار الدالة على النضوج الفكري في الأدب الإسلامي، وكان يقرؤها كل مبتدئ في المعاهد والمنازل والمدارس، ويرددها الوعاظ في المساجد والمحافل والمجالس^(٢٠) أضف إلى ذلك كله ما تتمتع به المنظومة من ثقابة الفكرة، وجودة التعبير، وقوة المعنى، وروعة البيان، وسهولة الحفظ، وجمال الشكل والمضمون: مما حفز على القيام بهذه المهمة.

٦- الأسلوب المستخدم في التحقيق

توخى الشيخ آدم عبدالله الإلوري في هذا التحقيق أسلوباً مرناً: حيث أفاض اللثام في أولى الصفحات عن شخصية الناظم بالتعريف به والكشف عن البيئة التي عايشها ومكانة العلم فيها ثم استرسل في الحديث عن مضامين المنظومة مشفوعة بتعليقات على بعض الظواهر الخلقية التي تناولها الناظم الحديث بالزجر عنها، كما فصل فيها القول عن مكانة المنظومة في المجتمع ومدى إقبال الناس عليها.

ومما يتبين للقارئ في هذا التحقيق أنه لم يعتمد على نسخة واحدة حيث تعددت عليه النسخ غير أنه لم يفصح عن أساس مدى اختياره وتفضيله النسخة المعتمد عليها في التحقيق: ومما دلّ على عدم اعتماده على نسخة واحدة قوله في الصفحة (١٦) عند شرحه -في هامش الصفحة- "مَشِيمَةُ الْجَهَّالَةِ" في الزجر عما لا يعني من الفضول، فيقول: المشيمة غشاء ولد الإنسان يخرج معه عند الولادة وهي كالغلاف أو الكيس له، وفي نسخة "من شَيْمَةِ الْجَهَّالَةِ" وفي الصفحة (١٩) في الزجر

عن الخيانة حيث قوله "مَنْ عَافَ قَوْلَ الْحَقِّ كَيْلًا يُبْغِضًا" وأشار عند الشرح في الهامش إلى ما يخالف ذلك في نسخة أخرى "من خاف قول الحق كيلاً يبغضاً".
وخرج النصوص الواردة في ثنايا أبيات المنظومة تلميحاً كتخريجه لحديث ألمح إليه الناظم في الصفحة (٢٢) حيث قوله:

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْقَتَاثُ ** فِي أَثَرِ نَاقَلَهُ السِّقَاثُ

فقال في تخريج الحديث: وقوله: رواه الثقات. يعني رواه البخاري ومسلم في قوله لا يدخل الجنة نمام وفي رواية: قتات. وخرج في الصفحة (٢٣) ما ألمح إليه الناظم من الحديث عند قوله "ومن ينازع الكبير الباهر" فقال: لما في الحديث القدسي (الكبرياء ردائي والعظمة ومن ينازعني واحدا منهما ألقينه في النار ولا أبالي) كما في الصفحة (٢٤) عند قول الناظم:

يَنْبُتُ نُقْطَةً كَنْفَرُ الْإِبْرَةِ ** بِغَلْبِهِ سَوْدًا تَزِيدُ كِبَرَهُ

فقال في الهامش عند تخريج ما ألمح إليه أنه في الحديث إذا أذنب العبد كانت نكتة سوداء في قلبه فإذا نزع واستغفر صقل قلبه منها وإن زادت حتى تملأ قلبه فذلكم... ذكر الله تعالى في قوله كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكذبون.

ثم خرج الحديث في قول الناظم "فضرجوا الزاني بالأضاميم" حيث قوله في هامش الصفحة (٢٦) أنه جاء في رسالة النبي لوائل ابن حجر أمير حضرموت قوله (من زني مم بكر فاصقوه مائة واستوفضوه هاما، ومن زني مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى) رواه القاضي عياض في الشفا.

وفي ضوء ما سبق نستطيع القول بروعة أسلوب التحقيق، وإثراء المحقق نفسه بروافد علمية، وذخائر معرفية حسب ما يمت بالصلة إلى العمل المحقق، وأنه عرض نص المنظومة في معرض صريح حسب ما في المخطوطة من دون زيادة ولا نقصان، وأنه لم يثقل النص الأصلي من المنظومة بشروح مسببة، وتعليقات مملّة مما ينقص من قيمة عملية التحقيق فيحطّ من قدره.

٧- الاتجاه الخُلقي في المنظومة

إن الغاية الأساسية التي يهدف إلى تحقيقها الأدب الإسلامي بأنواع فنونه، واختلاف مشاريعه، وتباين عصوره أن يخلق في الإنسان القيم والمثل الأخلاقية، وأن يلبي مقاصد جليلة لبناء المجتمع الفاضل الذي تستقر به السعادة الإنسانية بناء يتوقف على ترسيخ الأهداف العظيمة في نفوس الأفراد والجماعات^(٢١) بغض النظر عن مفاهيم أخرى ألحقت بهذه الغاية؛ ولعل هذه الظاهرة الخلقية التي اهتم بها الأدب الإسلامي هي التي لم تفتح لعلمائنا القدامى في نيجيريا أفقاً واسعة في تعاطي

الأغراض الموروثة كالغزل والهجاء والوصف^(١٢) بل يتمثل معظم أشعارهم في المثل والقيم التي تصاغ في أحسن قوالب الوعظ والتذكير.

ومن هذا المنطلق، تعدّ منظومة صرف العنان -بحق- قاموساً صغير الحجم، متراحي الأبعاد من حيث اتجاه الثبل الأخلاقية! التي تحثُّ عليها عن طريق النهي عن مقابلها السلبية كزجره عما لا يعني من الفضول، وعن الحقد والحسد، وعن الخيانة، وعن النفاق، والنميمة، والغيبة، والكبر، والكذب، والزنا؛ مما يحسم به القول -حسب ما حفلت بها المنظومة من الصيغ الزاجرة عن تعاطي تلك رذائل الأخلاق- أن الناظم بلغ أعلى ذرى القيم والمثل التي مكّنه عليها رسوخ قدمه، وقدارة إيمانه، ومدى تجاوبه مع تعاليم الدين الإسلامي، وامتناله لأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه حسب ما يتضح لنا في هذا التعبير "أن المنظومة قد ترجمت عن إيمان الناظم العميق، وعن إسلامه السحيق، وأدبه السامي، وثقافته الناضجة، وباعه الطويل، وتجربته الجيدة، ومعرفته الكاملة للدين، والأدب، والأخلاق، والدعوة والإرشاد..."^(١٣)

الغائمة

لقد توصلنا -خلال هذه المحاولة العلمية- إلى التعرف على تلك الجهود المبذولة من قبل بعض علماء نيجيريا على حفظ التراث المخطوط الذي يعدّ من أنفس الكنوز العلمية، وأعلى الذخائر المعرفية بُنّت على وجهها تربة الدهول والنسيان؛ ومن حقّها أن تعمل في إثراء الفكر الإنساني فقاموا بجهود متواصل لإعادة الأنفاس إليها بالكشف عن حقائقها وقيمها ومغازيها وإسهاماتها تجاه العلم والحياة فتصبح طعنة شبيهة على طاولة البحث والقراءة.

الهوامش:

- ١- الحفيان، فيصل (الدكتور): التحقيق بين حداثة المصطلح أصالة العلم: مقالة نشرت شبكة الإنترنت بموقع أدناه:
http://www.makhtutat.net/index.php?option=com_content&view=article&id=٢٢٠:tah&qeq&catid=٢٤:articles
- ٢- فضل الله، مهدي (الدكتور): أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٤٢
- ٣- الحفيان، فيصل (الدكتور): المرجع نفسه
- ٤- مقدم، عبدالرشيد محمود مقدم: صيانة المخطوطات بين الأساليب التقليدية والتقنية الحديثة. مقالة
مقدمة في جلسة التوعية عن المخطوطات الإلورية التي نظمها مكتب الآثار الإلورية بالتعاون مع
هيئة
الأدب الإسلامي فرع الورن، نيجيريا، ٢٠١٠م، ص ٨
- ٥- الحفيان، فيصل (الدكتور): المرجع نفسه
- ٦- الشيباني، محمد بن إبراهيم رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق بدولة الكويت، سلسلة
تساؤلات طرنت عليه ونشرت على شبكة الإنترنت بموقع غوغل www.google.com.ng
- ٧- المرجع نفسه
- ٨- فضل الله، مهدي (الدكتور): المرجع السابق، ص ١٤٩
- ٩- المرجع نفسه، والصفحة نفسها
- ١٠- جمبا، مشهود محمود محمد (الدكتور): مكانة العلم والعلماء في أرجوزة "صرف العنان عن طريق
النيران إلى طريق الجنان" مقالة نشرت في مجلة
Transformation in Arabic and Islamic studies in Nigeria: Studies in memory of Musa Ali
Ajetunmobi, Shebiotimo Publications, November, ٢٠٠٩، ص ٣٧٤
- ١١- الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): تحقيق وتعليق وتقديم صرف العنان عن طريق النار إلى طريق
الجنان للأديب الواعظ محمد مود بن محمد بن صلاح الدين الكشناوي، مطبعة الثقافة
الإسلامية
أجيبي نيجيريا، ١٩٨٦م، ص ٦

١٢- المرجع نفسه، ص٥

١٣- المرجع نفسه، ص٧

١٤- الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): من هنا نشأت وهكذا تعلّمت حتى تخرّجت، مطبعة الثقافة الإسلامية ١٩٩١ م، ص٥

١٥- المرجع نفسه، ص٤

١٦- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور): الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤ م، ص١٠٦

١٧- المرجع نفسه، ص٢١

١٨- المرجع نفسه، والصفحة نفسها

١٩- الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): تحقيق وتعليق وتقديم صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان للأديب الواعظ محمد مود بن محمد بن صلاح الدين الكشناوي، مطبعة الثقافة الإسلامية

أجيبي نيجيريا، ١٩٨٦ م، ص٤

٢٠- المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٢١- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور): المرجع السابق، ص١٦٢

٢٢- جمبا، مشهود محمود محمد (الدكتور): المرجع السابق، ص٣٧٤

٢٣- الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): تحقيق وتعليق وتقديم صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان للأديب الواعظ محمد مود بن محمد بن صلاح الدين الكشناوي، ص١٢